

دورُ نظرية الحالات لتشارلز فيلمور في فهم التعابير الثابتة.
The Role of Charles Fillmore's Case Grammar in Construing Fixed Expressions

د. سامي التيباب¹

جامعة المنستير (تونس)، tebbebsami@hotmail.com

<https://orcid.org/0009-0009-6033-3038>

تاريخ الاستلام: 2026/06/16 تاريخ القبول: 2026/07/04 تاريخ النشر: 2026/07/25

الملخص:

تتنزلُ هذه المقالة الموسومة بـ " دور نظرية الحالات لتشارلز فيلمور في فهم التعابير الثابتة " في سياق المتأقفة والتكامل بين المناهج اللسانية الغربية والدراسات الأدبية العربية. وهي تهدف إلى اختبار مدى قدرة الآليات المنهجية التي وفرتها نظرية الحالات للساني تشارلز فيلمور في تدبّر نظام اشتغال التعابير الثابتة وفك شفراتها الدلالية، وذلك بالكشف عن أمرين اثنين: أولاً بيان الوظائف الحقيقية لعناصر التعابير الثابتة وأدوارها الدلالية في الحدث الذي يصفه التعبير بعيداً عن وظائفها النحوية الكلاسيكية، ثمّ ضبط العلاقات الرابطة بين تلك العناصر ودورها في تشكيل المعنى المجازي، وثانياً الكشف عن السياقات الثقافية والمعرفية التي أفرزت تلك التعابير ولعبت دوراً في فهم دلالتها المجازية. فالإشكالية المحورية هي: كيف يساهم نحو الحالات في فهم شامل للتعابير الثابتة التي تتسم غالباً بالغموض وتُلامس المجاز؟. الكلمات المفتاحية: نظرية. تشارلز. فيلمور. التعابير. الثابتة.

Abstract:

¹ - د. سامي التيباب. tebbebsami@hotmail.com

the present paper, titled « The Role of Charles Fillmore's Case Grammar in Construing Fixed Expressions,» comes at the crossroads between western linguistic approaches and Arabic literary studies. It aims at examining the contribution of Fillmore's Case Grammar to understanding the functions of clichés and decoding their process of meaning making. The study has two objectives. First, it seeks to understand the actual functions of the elements of the fixed expression and the semantic frames they create in the event evoked by these expressions, apart from their traditional grammatical functions. It also aims at exploring the bonds linking these elements and their roles in the construction of semantic deviations described as figurative meaning. The second aim is to unravel the cultural and cognitive context from which these expressions evolve and their roles in understanding their figurative meaning. The central problematic is: in what ways does Case Grammar contribute to fixed expressions construal, their ambiguity and their figurative meaning

تقديم:

اللغة ليست مجرد نظام من العلامات التحوية بقدر ماهي نظام من العلاقات والمعاني التي لا تفهم إلا داخل سياقها الثقافي والمعرفي والاجتماعي، ومن ثمة لم يعد تحليل الجملة مجرد تحديد لبنيتها التحوية الكلاسيكية بل هو غوص في عالم من العلاقات الدلالية المعقدة التي تشكل نسيج المعنى للتعبير والجملة، وفي هذا الإطار قدمت نظرية الحالات أو "الأدوار" لشارلز فيلمور مقارنة لسانية حديثة تمكن من تدبر نظام اشتغال التعبير وفك شفراتها الدلالية وكشف سياقاتها الثقافية والمعرفية التي أفرزت تلك التعبير. ومن هذا المنطلق تطرح الإشكالية التالية: كيف يمكن لنظرية الحالات أن تسهم في تدبر التعبير الثابتة وفهم دلالاتها العميقة؟

سعيًا إلى الإجابة عن هذه الإشكالية، انتهج البحث مقارنة تحليلية تقوم على محورين متكاملين. المحور الأول نظري تعريفي، خصص في مستواه الأول لتقديم نظرية الحالات لشارلز فيلمور وبيان آلياتها الإجرائية في مقارنة التعبير، وفي مستواه الثاني لتعريف التعبير الثابتة وضبط خصائصها الفنية واللسانية، أما المحور

الثاني فيتعلق بكيفية استثمار تلك الأدوات المنهجية التي وفرتها نظرية الحالات لفهم نماذج من التعبيرات الثابتة وتحليل دلالاتها وإدراك سياقاتها الثقافية.

1 - 1 : دور الأول: مدخل إلى "نظرية الحالات" لشارلز فيلمور والتعبير الثابتة

1 - 1 : نظرية "الحالات" لشارلز فيلمور (Charles Fillmore).

ظهرت نظرية الحالات أو ما يسمى أيضا بنحو "الأدوار" في أواخر ستينات القرن العشرين مع اللساني الأمريكي " شارلز فيلمور " ردًا على النزعة الشكلية في النحو التحويلي ، وتهتم هذه النظرية بالكشف عن الوظيفة الحقيقية للكلمات وأدوارها الدلالية بعيدا عن وظائفها النحوية وعلاقتها مع بقية الكلمات الأخرى ، ومن ثمة يبرز الفرق بين "نحو الأدوار" لشارلز فيلمور والنحو الكلاسيكي. فإن كان هدف النحو الكلاسيكي وصف الجملة من حيث موقع الكلمات والعلاقات فيما بينها، فإنَّ نحو الأدوار يهدفُ إلى فهم المعنى الوظيفي لتلك الكلمات، وتحديد دورها في الحدث الذي تصفه الجملة سواء كان دورَ المنفذ (Agentive) أو المتأثر (Patient) أو المجرب (Experiencer) أو الأداة (instrument) أو المستفيد (Benefactive) أو المصدر (Source) أو الغاية (Goal) أو المكان (Locative) أو الزمان (Time) أو المعية (Comitative) ، فالفاعل النحوي مثلا، ليس دائما فاعلا في المعنى فقد يكون فاعلا ومفعولا به، ومستفيدا ومجربا وغير ذلك من الأدوار الدلالية ويتضح ذلك من خلال الجمل الآتية:

• الطفلُ فَتَحَ البابَ بالمفتاح.

• فتح المفتاحُ البابَ.

• فَتَحَ البابُ بالمفتاح.

فعلى الرغم من اختلاف البنى النحوية لهذه الجمل، فإنَّ الأدوارَ الدلاليةَ الأساسية لعناصرها ظلت ثابتة نسبيا. ففي الجملة الأولى يتولَّى «الطفل» وظيفة «المبتدأ» نحويًا، غير أنَّ دوره الدلالي يتمثل في «المنفذ» (Agent)، أي الكائن الذي يباشر الفعل عن قصد وإرادة. أمَّا «المفتاح» فقد ورد مفعولا به ثانيا مركبا بالجرِّ وأدَّى دور «الأداة» (Instrument) التي تمَّ بوساطتها إنجاز الفعل، في حين مثَّل «الباب» العنصر الذي وقع عليه أثر الحدث، أي «المتأثر» (Patient).

غير أنّ الجملة الثانية «فتح المفتاح الباب» تكشف بوضوح الفرق بين الوظيفة النحوية والدور الدلالي؛ فـ«المفتاح» شغل هنا موقع "الفاعل" نحويًا، لكنه لم يتحوّل دلاليًا إلى منفذ حقيقي للفعل، لأنّ المفتاح لا يملك إرادة أو قصدًا. ولذلك ظلّ محتفظًا بدوره الأصلي بوصفه «أداة» (Instrument)، بينما حُذف المنفذ الحقيقي من البنية السطحية للجملة. ويُظهر هذا المثال أنّ الفاعل النحوي لا يساوي بالضرورة الفاعل الدلالي، وأنّ البنية العميقة للحدث تبقى قائمة حتى مع تغيّر الصياغة التركيبية.

أما في الجملة الثالثة «فُتح الباب بالمفتاح» فقد حُذف المنفذ تمامًا، وتحوّل التركيز إلى الحدث ذاته وإلى العنصر المتأثر به، أي «الباب». ورغم غياب الفاعل النحوي، فإنّ السامع يستطيع استنتاج وجود منفذ ضمني من خلال طبيعة الفعل نفسه، لأنّ حدث «الفتح» يقتضي في التمثّل الإدراكي وجود قوّة أو جهة قامت بالفعل. ومن هنا يظهر أنّ نظرية الحالات لا تنظر إلى الجملة باعتبارها بنية نحوية مغلقة، بل بوصفها تمثيلًا ذهنيًا لحدث تتفاعل داخله مجموعة من الأدوار الدلالية، سواء صُرح بها أم بقيت مضمرة.

وتكشف هذه الأمثلة أنّ فعل "الفتح" يمثّل المركز الدلالي للجملة أو الفعل المحوري لها، لأنّه الحدث الذي تتمحور حوله كلّ العناصر الدلالية، ويتحدد نوع الحالات المطلوبة لإتمام المعنى. فالفعل «فتح» يقتضي في بنيته الدلالية وجود منفذ يقوم بالفعل، وشيء يقع عليه الأثر، وقد يستدعي أداة يتمّ بها الإنجاز. فما يلاحظ من خلال تلك الجمل على الرغم من اختلاف أبنيتها النحوية واختلاف مواقع كلماتها ووظائفها النحوية أن كلمة "المفتاح" لعبت دور الأداة وأن كلمة "الطفل" قد لعبت دور المنفذ وأن كلمة "الباب" لعبت دور المتأثر أو المفعول في الحدث المحوري للجمل وهو "فتح الباب". فهذه العناصر الأساسية تشير إلى العلاقات النحوية والدلالية بين الفعل والعناصر الأخرى للجملة والكيفية التي تتفاعل بها تلك العناصر المختلفة. ولذلك فإنّ الأدوار الدلالية ليست عناصر اعتباطية، بل ترتبط بما يسمّيه فيلمور «إطار الحدث» (Case Frame)، أي البنية الدلالية العميقة الملازمة للفعل، والتي تحدّد مسبقًا نوع المشاركين في الحدث والعلاقات الرابطة بينهم. فكلّ فعل يستدعي مجموعة من الأدوار الدلالية التي تقتضيها طبيعته المعنوية، ومن ثمّ تتوزع عناصر الجملة على هذه الأدوار وفق مقتضيات الحدث الذي يعبر عنه الفعل.

ومن هذا المنطلق، يتجاوز التحليل القائم على نظرية الحالات حدود الإعراب التقليدي الذي يركّز على العلامات النحوية، ليتّجه نحو دراسة العلاقات العميقة بين الفعل والعناصر المرتبطة به. فالجمل الثلاث تعبر في الحقيقة عن حدث واحد، غير أنّ المتكلّم يعيد تنظيم عناصره بحسب الغرض التداولي أو

زاوية التركيز؛ فقد يركز على المنقذ، أو على الأداة، أو على المتأثر بالفعل. وهذا ما يفسر قدرة اللغة على إنتاج صيغ متعددة لحدث واحد مع المحافظة على البنية الدلالية الأساسية.

وتكتسب هذه الفكرة أهمية خاصة في تحليل التعبيرات الثابتة، لأنّ كثيراً منها يقوم على أدوار دلالية مستقرة تتجاوز ظاهر التركيب. فالتعبير "يلعب بالنار" أو "مات واقفاً" أو "يأكل بعينه" أو "يقرأ بين السطور" أو «صب الزيت على النار» لا تُفهم معانيها من خلال الوظائف النحوية لمكوناتها بل من خلال إدراك طبيعة العلاقات الدلالية التي تربط بين أفعالها المحورية وبقية عناصرها الدلالية، ثم ربط ذلك بسياقاتها الثقافية والمعرفية لفهم تلك الجمل فهما أوسع، فكل وظيفة دلالية في النص تستدعي سياقاً معرفياً وثقافياً كامناً، وعلى دارس اللغة إدراك تلك السياقات حتى يتمكن من فهم التعبيرات، ومن ثمّ، تُعدّ نظرية الحالات أداة ناجعة للكشف عن البنية العميقة لهذه التعبيرات وتفسير آليات إنتاج معناها المجازي وتحديد سياقاتها الثقافية.

1 - 2 : التعبيرات الثابتة: تعريفها وخصائصها

تُعدّ التعبيرات الثابتة مكوناً أساساً من مكونات النظام اللساني، وعنصراً فاعلاً في الممارسة اللغوية اليومية للمتكلّمين، إذ تتألف من وحدات معجمية متعددة تنتظم في بنية لغوية مستقلة، وتتجاوز في دلالتها المعنى الحرفي المباشر إلى معنى اصطلاحى أو مجازي متواضع عليه داخل الجماعة اللغوية. ومن ثمّ، فإنّها تمثل نوعاً من الشفرة المشتركة التي تتيح لأبناء اللغة الواحدة تداول معاني مخصصة تستند إلى رصيد ثقافي ومعرفي مشترك، وهو ما يجعل فهمها ميسوراً لدى المتكلّم الأصلي، في حين تبدو عسيرة الإدراك بالنسبة إلى المتعلّم الأجنبي أو غير المتمرس بسياقاتها الثقافية والاستعمالية.

وقد حظيت هذه الظاهرة باهتمام واسع في الدراسات اللسانية الغربية، فتنوعت المصطلحات الدالة عليها بحسب الزاوية التي يُنظر منها إليها، من قبيل: «التعبيرات الثابتة» (Les expressions figées)، و«التعبيرات المجازية» (Les expressions figures)، و«التعبيرات المركبة» (Les expressions composées). ويكشف هذا التعدد الاصطلاحي عن تعدّد خصائص هذه التعبيرات وتشعب أبعادها الدلالية والتركيبية والتداولية. وقد أثرنا في هذا البحث اعتماد مصطلح «التعبيرات الثابتة» لكونه أبرز المصطلحات تعبيراً عن السمة الجوهرية التي تقوم عليها هذه الوحدات، وهي سمة الثبات في البنية والدلالة.

تتميز التعبيرات الثابتة بجملة من الخصائص التي تجعلها ظاهرة لغوية مركبة. ولئن تجاوز عدد هذه الخصائص في بعض الدراسات العشرين خاصة، فإن أبرزها يمكن في خمس خصائص كبرى. تتمثل أولى هذه الخصائص في التعدد اللفظي (la polylexicalité)، إذ يتكوّن التعبير الثابت من كلمتين فأكثر تنظم في وحدة دلالية واحدة لا تُفهم من خلال معاني مفرداتها منفصلة. أمّا الخاصية الثانية فهي الثبات (le figement)، ويقصد به استقرار البنية التركيبية للتعبير وعدم قابليتها للتغيير بالحذف أو الإضافة أو إعادة ترتيب العناصر أو استبدال بعضها ببعض، لأنّ أيّ تعديل قد يفضي إلى انهيار دلالاته الاصطلاحية. وتتمثل الخاصية الثالثة في الطابع المجازي أو التصويري (l'aspect imagé)، إذ تتجاوز دلالة التعبير معناه الحرفي إلى معنى إيحائي أو رمزي، كما في قولهم: «صبّ الزيت على النار»، الذي يُستعمل للدلالة على تأجيج الأوضاع لا على معناه الحسي المباشر. أمّا الخاصية الرابعة فهي كثرة التداول أو الشيوع (la fréquence)، إذ تكتسب التعبيرات الثابتة مشروعيتها من كثافة استعمالها واستمرار تداولها عبر الأزمنة، وهو ما يضمن بقاءها داخل الذاكرة الجماعية واستقرارها في الاستعمال. وقد تنبّه النقاد العرب القدماء إلى هذه السمة حين ربطوا حياة الكلام بتكرار الاستعمال وتعاوده.

وتتجلّى الخاصية الخامسة في مؤسسة التعبيرات الثابتة (l'institutionnalisation)، إذ تتحوّل بعض التعبيرات إلى وحدات مُعترف بها داخل المؤسسات اللغوية والثقافية، فتغدو جزءاً من الرصيد اللغوي والثقافي للمجتمع، وتُكرّسها مختلف وسائل الاستعمال والتداول، ولا سيّما في سياقات التحوّلات الحضارية والتقنية التي تُنتج تعابير جديدة تستقرّ تدريجياً في الاستعمال العام.

تبيّن هذه الخصائص مجتمعة أنّ التعبيرات الثابتة ليست مجرد تراكيب لغوية جاهزة، بل هي وحدات دلالية وثقافية معقّدة تتداخل فيها البنية اللسانية بالتمثيلات الإدراكية والاجتماعية والثقافية. ومن ثمّ، فإنّ مقاربتها لا يمكن أن تقتصر على التحليل المعجمي أو التركيبي التقليدي، بل تستدعي توظيف مقاربة لسانية إدراكية قادرة على التّفاذ إلى بنيتها العميقة وآليات إنتاج معناها داخل السياقات الثقافية والتداولية.

2-1 دور الثاني: أهمية نظرية الحالات في فهم التعبيرات الثابتة وكشف سياقاتها الثقافية.

يظهر من خلال ما استعرضناه من خصائص التعبيرات الثابتة أنّ تحليلها يتطلب تجاوز الوصف اللغوي التقليدي إلى قراءة تربط بين بنيتها ومعانيها الكامنة. ومن هذا المنطلق، يتيح تطبيق نظرية الحالات لشارلز فيلمور تتبّع الأدوار الدلالية لمكوّناتها وفك شفرة معانيها المجازية والسياقية بما يمكن من فهم أعمق لدلولاتها.

ولذا سنسعى إلى تطبيق عملي لهذه النظرية على ثلاثة نماذج من تعابير توفرت فيها سمات التعابير الثابتة كالمجاز والشيوع وغيرها من السمات الأخرى. وهذه التعابير هي "يلعب بالنار" و"وصب الزيت على النار" و"بلغ السيل الزبى"، وسنحاول من خلال تلك التعابير الثلاثة تحديد الفعل المحوري في كلّ تعبير منها، وتتبع الأدوار الدلالية لمكوناته وضبط العلاقات الرابطة بينها ودورها في إنتاج المعنى المجازي ضمن سياق ثقافي مرتبط به.

-التعبير الأول: "يلعب بالنار"

يُعدّ التعبير الثابت «يلعب بالنار» من التعابير الاصطلاحية المتداولة في المجتمعات العربية الحديثة وحتى الغربية التي تكشف بوضوح عن تداخل البنية اللغوية بالبنية الثقافية، إذ لا يمكن الوقوف على معناه الحقيقي من خلال جمع الدلالات المعجمية لمفرداته، بل يتطلب الأمر تحديد أدوارها الدلالية والعلاقات الرابطة فيما بينها، واستحضار المعارف الثقافية والتجارب الحضارية التي ارتبطت بصورة النار في المخيال العربي. ومن هذا المنطلق تتيح نظرية الحالات (Case Grammar) مدخلاً مناسباً للكشف عن البنية الدلالية العميقة التي يقوم عليها هذا التعبير، وربطها بالسياقات الثقافية والمعرفية التي جعلت النار تحديداً تؤدي هذا الدور الرمزي في التعبير عن الخطر والمجازفة.

يتكون التعبير "يلعب بالنار" من فعل «يلعب» وفاعل مضمر، وقد يُذكر بحسب السياق، ومفعول به ورد مركباً بالجر «بالنار». غير أن هذه البنية النحوية السطحية لا تعكس المعنى الحقيقي للتعبير، لأن المقصود ليس ممارسة فعل "اللعب" في معناه الحرفي، وإنما الإقدام على سلوك ينطوي على مخاطر جسيمة. ووفقاً لنظرية الحالات يمكن تحديد الأدوار الدلالية الكامنة في هذا التركيب على النحو الآتي:

-المنفذ (Agentive): وهو الطرف المضمر الذي يباشر فعل "اللعب" عن قصد وإرادة.

-الأداة (Instrument): "النار" وهي القوة المؤثرة (Force) التي يمكن أن تُحدث ضرراً

بالغاً إذا أسيء التعامل معها.

-النتيجة: ضمنية لا تظهر في البنية النحوية وتتمثل في وقوع الأذى أو الخسارة أو الضرر المحتمل.

فالمنفذ يقوم بفعل إرادي "اللعب"، لكن أداة اللعب "النار" ليس لعبة حقيقية، بل هي عنصر معروف بخطورته. ومن ثمّ تنشأ علاقة تعارض بين إطار اللعب الذي يفترض التسلية والأمان وإطار النار الذي يفترض الخطر والإتلاف، ويُفسر هذا التعارض بين فاعل يتصرف بإرادته وأداة خطيرة يستهين بقدرتها

التدميرية انتقال الدلالة من اللعب الحقيقي إلى المجازفة والاستهتار بالعواقب. ومن ثمة يتشكل سياق دلالي جديد للتعبير وهو إطار المجازفة والمخاطرة.

غير أن هذا التحليل للبنية الدلالية العميقة من منظور نظرية الحالات يظل منقوصاً إذا لم يُربط بالسياق المعرفي والثقافي الذي تستدعيه أداة اللعب «النار». فالنار في الثقافة العربية ليست مجرد ظاهرة طبيعية، وإنما هي رمز ثقافي كثيف الدلالات تشكل عبر قرون طويلة من التجربة الإنسانية. فقد ارتبطت النار في حياة العربي القديم بالدفء والطهي والإنارة، وكانت إحدى الوسائل التي تضمن استمرار الحياة في البيئة الصحراوية القاسية، واكتسبت دلالة إيجابية باعتبارها مصدرًا للحياة والأمن والتواصل الاجتماعي، فقد جرت عادة العرب على إيقاد النار ليلاً لإرشاد الضيف والمسافر حتى أصبحت النار الموقدة إحدى العلامات الدالة على الجود وحسن الاستقبال والضيافة نحو قولهم " نار القرى " و" نار المسافر " ونار الشوق ... لكن هذه الدلالة الإيجابية للنار اقتربت في الوقت نفسه بالخطر والهلاك والتدمير. فالمجتمعات القديمة كانت تدرك قدرة النار على القضاء على الممتلكات والمساكن وإهلاك الإنسان والحيوان إذا خرجت عن السيطرة. فقد ارتبطت النار قديماً بالحروب والفتن ارتباطاً وثيقاً، حتى أصبح إشعال النار استعارة مألوقة لإثارة الحروب والصراعات والقتل. يقول تعالى: ﴿كَلِمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ وأكثر الشعراء البلغاء في ذكرها . وهكذا تشكل في الوعي العربي تصور مزدوج للنار بوصفها عنصراً نافعاً من جهة، وعنصراً مدمراً من جهة أخرى. وهذه الازدواجية هي التي منحها قوة رمزية استثنائية وجعلتها مصدرًا خصباً للاستعارات والتعبيرات الثابتة.

يتضح من خلال استحضار السياق الثقافي والمعرفي المرتبط بالنار أن التعبير الثابت «يلعب بالنار» لا يُفهم انطلاقاً من دلالات مكوناته اللغوية فحسب، بل من الرصيد الثقافي الذي جعل النار رمزاً للخطر والتهديد والدمار. فقد أسهمت الخبرة الجماعية المتراكمة في إرساء استعارة تُصوّر فيها المواقف المحفوفة بالمخاطر في صورة نار قابلة للاشتعال والانتشار. ومن ثمّ أصبح التعبير يدل على الإقدام على سلوك ينطوي على مجازفة واستهانة بالعواقب المحتملة. ويكشف ذلك أن المعنى الاصطلاحي للتعبير يتولد من تفاعل البنية الدلالية مع المعارف والتصورات الثقافية المشتركة التي تمنحه دلالة الخاصة داخل الثقافة العربية.

التعبير الثاني: «رَفَعَ رَايَةَ الْحَرْبِ»:

ينتمي هذا التعبير إلى المجال السياسي والعسكري، ويُستعمل للدلالة على إعلان العداء أو الشروع في الصراع. وإذا تأملنا بنيتة وجدناه يقوم على الفعل المحوري «رفع»، وهو فعل حركي يرتبط في أصله بإعلاء شيء من الأسفل إلى الأعلى، غير أنّ المعنى الاصطلاحي للتعبير يتجاوز هذا الفعل الحسي إلى معنى رمزي وثقافي.

وتتوزع الحالات الدلالية فيه كالآتي:

- الفاعل (Agentive): الشخص أو الجماعة التي تُعلن الحرب.
 - الموضوع (Object): «الراية» باعتبارها رمزاً مادياً تحمل معاني السلطة والانتماء والقوة.
 - المتأثر (Patient): هو ضمني والمقصود الجماعة أو الطرف الذي سيتوجّه إليه فعل الحرب.
- وعند الانتقال إلى المستوى العميق يتبيّن أنّ «الراية» لا تُفهم بوصفها قطعة قماش مرفوعة، بل بوصفها علامة ثقافية مشحونة بالدلالات؛ فالراية في المخيال العربي القديم رمز للقبيلة والقيادة والهيمنة، ورفعها إعلان صريح عن بدء المواجهة. ومن هنا تولّد المعنى المجازي للتعبير، إذ صار «رفع راية الحرب» دالاً على تبني موقف عدائي أو تأجيج الصراع، حتّى في السياقات غير العسكرية.
- ويكشف هذا التحليل أنّ العلاقة بين فعل المحوري «الرفع» والموضوع «الراية» ليست علاقة تركيبية فحسب، بل علاقة رمزية تنظم داخل إطار ثقافي تشكّل عبر التجربة التاريخية والاجتماعية للعرب. ولهذا لا يمكن فهم التعبير فهماً دقيقاً بالاعتماد على المعنى المعجمي للألفاظ وحده، لأنّ دلالاته تتأسس على معرفة ثقافية سابقة تجعل الراية قرينةً للحرب والسيادة..

التعبير الثالث: "بلغ السيل الزبي"

يُعَدّ التعبير الثابت «بلغ السيل الزبي» من التعبيرات العربية التراثية التي جرت مجرى الأمثال، وقد حظي بعناية في كتب النقد الأدبي القديم، وتمثّل به الشعراء في أشعارهم للدلالة على معنى بلوغ الأمر حدّاً لا يُحتمل أو تجاوز المشكلة للحدود المقبولة، فهو من التعبيرات التي لا يُدرك معناها الاصطلاحي إدراكاً كاملاً إلا من خلال الجمع بين التحليل الدلالي والسياق الثقافي والحضاري الذي نشأ فيه.

وإذا نظرنا إلى هذا التعبير في ضوء نظرية الحالات عند تشارلز فيلمور، فإنّ تحليله يقتضي الانطلاق من مبدأ أساسي مفاده أنّ البنية التحوية الظاهرة الفعل: "بلغ" والفاعل النحوي "السيل" والمفعول به "الزبي" لا تمثّل سوى المستوى السطحي للتعبير، بينما تكمن وراءها بنية دلالية عميقة تتحدّد من خلال

الأدوار أو الحالات الدلالية التي تنهض بها مكونات التعبير والعلاقات الرابطة بينها. وهو ما يمكن من تمثيل المعنى الكلي للتعبير وإدراك دلالاته العميقة.

الفعل المحوري: الفعل المحوري " بلغ " فهو يمثل نواة الحدث ويؤطر العلاقة الدلالية بين السيل والزئي، ويحمل معنى الوصول إلى حدٍّ أو نقطة نهاية.

الأدوار الدلالية

-السبب (Cause): "السيل" هو الكيان غير العاقل الذي كان سبباً في وقوع الحدث أو التغيير، فهو قوة طبيعية يتحرك ويؤثر في محيطه دون تدخل إرادي من فاعل بشري.

-الغاية (Goal): "الزئي" هو الغاية المكانية التي ينتهي إليها الحدث، أي هو الحد النهائي الذي انتهت إليه حركة السيل

-النتيجة (Result): النتيجة غير معلنة وهي غمر السيل أعالي الأرض.

العلاقة بين عناصر التعبير:

تقوم البنية الدلالية للتعبير على علاقة بلوغ أو وصول تربط بين عنصر يؤدي دور القوة الطبيعية (السيل) وعنصر يؤدي دور الغاية المكانية (الزئي)، وتصور هذه العلاقة حدث انتقال قوة متحركة إلى حدٍّ نهائي يفترض ألا تبلغه في الظروف العادية. ومن ثم فإن البنية العميقة للتعبير لا تصف حركة ماء نحو مكان مرتفع، بل تصور حدثاً استثنائياً يتمثل في تجاوز قوة طبيعية لحدودها المألوفة.

غير أن هذه البنية الدلالية لا تفسر وحدها القيمة الاصطلاحية للتعبير، إذ يقتضي فهمها استحضار السياق الثقافي والحضاري الذي تشكلت في إطاره دلالات عناصره. فالزئي في اللغة العربية جمع زبية، وهي حفرة تتخذ للأسد في الموضع العالي ليصطاد فيها، أما السيل فالماء الكثير السائل الجارف بعد نزول المطر الموسمية وما قد يحدثه من أضرار عندما يشتد ويندفع بقوة ويبلغ أعالي الأرض، ولذلك اكتسب السيل قيمة رمزية جعلته صالحاً للتعبير عن كل قوة متزايدة يصعب إيقافها أو التحكم فيها.

وارتبط الزئي في الوعي البيئي للعرب بمعاني الأمان والحدود القصوى التي لا يتوقع تجاوزها. ومن ثم كان وصول السيل إلى الزئي حدثاً استثنائياً يدل على شدة الفيضان وخروجه عن حدوده الطبيعية ويعبر عن اختلال النظام المعتاد وتجاوز ما هو متوقع ومألوف... فالعلاقة بين «السيل» و«الزئي» ليست مجرد علاقة حركة فيزيائية، بل علاقة تجاوز لحدود مألوفة وآمنة.

ومن خلال هذه الظواهر البيئية المشتركة تشكلت صورة ذهنية جماعية مفادها أن بلوغ السيل الرُّبِّي يمثل تجاوزًا للحدود المألوفة. ومع مرور الزمن انتقلت هذه الصورة من المجال الطبيعي إلى المجال الاجتماعي والنفسي، فأصبح التعبير يُستعمل للدلالة على تفاقم المشكلات أو تراكم الضغوط إلى درجة لا يمكن احتمالها أو السكوت عنها. فأصبح «السيل» يرمز إلى الضغوط أو المشكلات أو الأزمات المتركمة، في حين غدت «الرُّبِّي» رمزًا للحد الأقصى من الاحتمال والصبر. وبهذا أصبح التعبير دالا على بلوغ الأمر درجة من الشدة والتفاقم تتجاوز ما يمكن تحمله أو السكوت عنه، وهو معنى نتج عن تفاعل البنية الدلالية التي تكشفها نظرية الحالات مع السياق الثقافي الذي منح عناصر التعبير قيمتها الرمزية.

ومن ثم فإن التعبير «بلغ السيل الرُّبِّي» لا يختزن معنى لغويًا فحسب، بل يجسد رؤية ثقافية للعالم تستند إلى تحويل تجربة بيئية محسوسة إلى نموذج ذهني يُستعان به لفهم الخبرات الإنسانية المجردة. وهذا ما يفسر استمرار فاعلية التعبير في الاستعمال العربي إلى اليوم، رغم ابتعاد كثير من المتكلمين الأصليين للغة العربية عن البيئة التي نشأ فيها، لأن دلالاته أصبحت جزءًا من الرصيد الثقافي المشترك الذي تنقله اللغة عبر الأجيال.

يتضح من خلال الأمثلة الثلاثة من التعبيرات التي عُييت بالتحليل أنّ نظرية الحالات تمكّن من التّفاذ إلى البنية الدلالية العميقة للتعبيرات الثابتة، إذ تكشف كيف تتفاعل الأدوار الدلالية مع الخلفية الثقافية لإنتاج معنى مجازي مستقرّ في الذاكرة الجماعية. كما تُظهر أنّ التعبير الثابت ليس مجرد تركيب لغوي جامد، بل بنية إدراكية وثقافية تختزن تصوّر الجماعة للعالم وتعيد إنتاجه عبر الاستعمال.

خاتمة:

لقد انطلقنا في هذا المقال من فرضية مفادها أن نظرية الحالات تمثّل إطارًا إجرائيًا ناجعًا في مقارنة البنية العميقة للتعبيرات الثابتة. إذ تتيح إعادة بناء المعنى في ضوء الأدوار الدلالية التي تتوزّع بين مكوّنات التعبير، بما يكشف انتظامها الداخلي ويبرز ترابط عناصرها في إنتاج دلالة كلية متماسكة. وقد أظهر التحليل التطبيقي، من خلال النماذج المدروسة، وجاهة تلك الفرضية، فقد برهنت أدواتها الإجرائية على قدرتها على تفسير آليات تشكّل المعنى في التعبيرات الثابتة بصورة دقيقة ومنظمة، مع إبراز بنيتها العميقة في إطار منسجم مع العلاقات الدلالية الكامنة فيها. كما تبين أن استيعاب هذه البنية لا يكتمل إلا من خلال استحضار السياق الثقافي الذي أنتج هذه التراكيب، باعتباره عنصرًا مُؤطّرًا يسهم في توجيه الدلالة

وتشبيها داخل الاستعمال اللغوي. ولذلك تبين أن المعنى في التعبيرات الثابتة لم يكن منفصلا عن السياق الثقافي الذي نشأ فيه بل هو منغمس فيه، فكل تعبير ثابت يُفعّل إطارا دلاليا متجذرا في تجربة الإنسان الثقافية والاجتماعية، وهو ما يُمكن الباحث من استكشاف البعد الثقافي الكامن خلف التعبير. ولذا لم يكن من السهل فهم تعبير معين فهما كاملا دون معرفة سياقه الثقافي والبيئة التي نشأ فيها وبذلك تتأكد فاعلية هذا الإطار النظري في الجمع بين التنظيم الدلالي الداخلي للتعبير وبين امتداداته الثقافية، بما يعزز دقة الفهم ووضوح التفسير. وهو ما يفتح أفقا بحثيا واعدًا لمواصلة اختبار هذه النظرية وآلياتها الإجرائية في مقارنة النصوص الشعرية والكشف عن أنساقها المجازية العميقة.

المراجع:

قائمة المراجع العربية

- الثعالبي (أبو منصور)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بيروت، لبنان، د.ت. ص 571
- شمام (نسيمه)، المعنى في النظريات المفسرة، نظرية الحالات لشارل فيلمور نموذجاً، مجلة اللسانيات، نشر مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، المجلد 28، العدد 2، 2022.
- ابن دريد () ديوان ابن دريد، دراسة وتحقيق، عمر بن سالم، مؤسسة سلطان بن علي العويس، دبي، الإمارات، 2012. ص 136
- مومن (أحمد)، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عنون، الجزائر، ط 2، 2005، ص 261.
- الميداني (أبو الفضل أحمد)، مجمع الأمثال، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، 1955. ج، ص 91.
- اليوسي (الحسن) زهر الأكم في الأمثال والحكم، حققه الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الأخضر، منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب، الدار البيضاء. المغرب، ط1، 1981. ص 202.

المراجع الأجنبية:

- Aude lecler Isabel Gonzalez Rey. la phraséologie du français Cahiers de praxé-matique. 41. 215- 218. Source / doi/10.4000/praxematique 2690
- Béatrice Lamiroy: Le figement: à la recherche d'une définition. Article in ZeitschriftfürFranzösischeSprache und Literatur, January 2008. Beiheft 36, 85-99 .
- Dan. Jurafsky. Charles J, Fillmore. ComputationalLinguistics Volume 40, Number 3 Stamford University / <https://scispace.com/pdf/charles-j-fillmore-f9iyyx3ze.pdf>
- Sulkowska Monika: Quelques aspects de la phraseodidactique, c'est-à-dire sur l'en-seignement-apprentissage des expressions figées en langue étrangère. Neophilo-logica (T21) (2009) S.p 103
- Walter A. Cook s.j Case Grammer Theory. Georgetown University Press. Washington D; C 1989.